لحضرة المحامي بطرس البستاني

لحضرة اللغوي المعروف المحامي بطرس البستاني بحث جديد في الفلسفة اللغوية يؤيد فيه نظرية خاصة به مفادها ان يُستنتج معنى الكلمة بواسطة الحروف التي تتركب منها. وقد بدأ بحثه بحرف النون مبيناً انه يدلّ على الخفاء اذا وقع في اول الكلمة. فرأينا ان ننشر توطئة هذا المؤلف النفيس ونردفها بمثال من موضوعاته، راغبين الى علماء اللغة من قرائنا الكرام ولا سيما المستشرقين منهم، ان يبدوا آراءهم في هذه النظرية الجديدة.

يراد بالفلسفة اللغوية النظر في اوضاع اللغة وردّ فروعها الى اصولها، وتمييز المعنى الحقيقي من المعنى المجازي، واماطة النقاب عن سر الوضع، واستجلاء مقاصد الواضع والاسلوب الذي جرى عليه في ابداع الالفاظ والتفنن في معانيها. فاذا احكم المرء هذه الصناعة وضع يده على اعنة اللغة، فكانت له اسلس مقادةً من الفرس الذلول، ولم يفته شيء من الأوابد والشوارد، ويصيب الهدف في جميع مباحثه وتحقيقاته وتخريجاته اللغوية بحيث يصبح وكأنه ممن عاصروا واضعي اللغة وشهد حلقاتهم، وسمع مباحثاتهم، او كأنه قد تلقن منهم سرّ الوضع، ووجوه التصرّف في الكلمات وطرق اشتقاقها واحسان استعمالها. ولا يغرب عن البصائر النيرة ما في هذه الصناعة من الغوامض والدقائق، وما تستلزمه من اطالة الرويّة وجودة النظر، والتدقيق في البحث، والتوغل في مجاهل الاستقراء والاستقصاء، وما تستدعيه من الجهد الجاهد والعزيمة الصارمة، وادمان المطالعة، وتصفّح امّات اللغة والغوص في اسفار اللغويين الأعلام الذين خاضوا عباب اللغة واخرجوا من غورها كثيراً من اللآلئ اليتيمة، وأودعوها كتبهم منثورة بين اضعافها.

وانه ليتعذر على كل باحث أن يستشفّ كنه اللغة، ويستبطن مسائلها

ويحيط علماً باوضاعها ، ويحسن التصرّف في الفاظها ، اذا لم يكن راسخ القدم في فنّ البيان ، متبحرًا في علم المجاز الذي هو مصباح اللغوي الوقاد ودليله الرشيد في مفاوز المعضلات. فاذا كان كليل النظر فيه ضلّ الطريق السويّ ، وكبا في جميع ابحاثه اللغوية الكبوة اثر الكبوة كأنه يخبط الليل الدامس، ولم يقوَ على كشف شيء من اسرار اللغة وضوابطها ، ولم يفقه معاني الكلمات على ما وضعها الواضع ، حتى لقد يحار في وجوه استعمالها ويعتاص عليه ان يضع كل كلمة في موضعها وينظمها في سمطها . ونحن اليوم في امسّ الحاجة الى اتقان هذه الصناعة من كل وجه ، حتى يتسنى لنا البحث عن تلك الكنوز المطمورة في دفائنها ، المذخورة في خزائنها من عهد بعيد ، وحتى يتاح لنا ان نفهم الالفاظ على وجهها ونحكم صياغتها.

وأعضاء المجامع العلمية هم ولا ريب من احوج الناس الى معرفة دقائق اللغة والتعمّق في فلسفتها ، لانهم هم الامناء على هذه الوديعة الثمينة وعليهم المعوّل في وضع كلمات جديدة للمستحدثات العصرية. فاذا لم يكونوا من المطلعين على غوامض اللسان العربي والواقفين على اسراره ، لم يهتدوا الى الطريقة التي انتهجها السلف الصالح في وضع الالفاظ ، وركبوا متن الشطط واختاروا لتلك المستحدثات اوضاعاً نافرة عن مواضعها غريبة في بابها ، ينكرها العرب الخلصاء ايّ انكار ، اذا نُشروا من رموسهم وتغلغلت في اسماعهم.

ولا مشاحة ان اللغة بعد الفتوح الاسلامية قد اعتور الفاظها شيء من الفساد ودبّت الى طائفة منها عقارب العجمة لاختلاط الغزاة بالأعاجم. ولم يكن لذلك العهد الا القليل منها مذخوراً في خزائن الكتب ، فلم تمتد اليه ايدي التصحيف والتحريف والمسخ والافساد. فكان ان اثارت الحمية العربية فريقاً من اقطابها البلغاء فأوغلوا في الصحراء حيث يقطن العرب الصُرحاء ، وانشأوا يخالطونهم ويحادثونهم ويشافهونهم وينقلون عنهم كل ما يسمعونه منهم من الكلم والروايات والاشعار والمطارحات الى غير ذلك ، مما كان يحفظه سكان المدَر عن ظهر قلوبهم متناقلينه خلفاً عن سلف . فجمعوا منهم ما جمعوا مما نراه اليوم في المعجمات ، ودواوين الشعر ، واسفار البلاغة . ولا ريب ان الذي جمعوه هو

اقلّ مما كانت تتداوله القبائل العربية المشتتة في تلك الصحاري الشاسعة الاطراف. فضلًا عن ان كثيرًا من الالفاظ قد ضاع على تراخي الايام مما كان معروفاً عند العرب العرباء الذين تواطأوا على وضع اللغة ، لان الحافظة مهما قويت هي اعجز من ان تقوى على ضبط لغة بلغت من الاتساع ابعد مدى . وبديهيٌ ان اللغة التي تدور على اسلات الالسنة في التخاطب والتفاهم لا يمكن ان تشمل جميع الالفاظ اللغوية ، على ما نراه اليوم في اللغات الحية ، مع انها لا تحوي من الكلم ربع ما يحويه لساننا العربي ، فكيف اذا ضممت الى الفاظ اللغة ما كان يرويه الرواة من المنظومات والاشعار مما يتعذر ضبطه على الراوية أيًّا كان ومهما بلغت حافظته. ولهذا بقي شيء كثير من الالفاظ التي لم تكتب والقياس يقضي بان تكون. فكان اهمالها ثلمة في جدران هذه اللغة ومدعاة الى الارتباك.

ومهما يكن من الامر فان عرب البادية الذين التقط منهم اولئك اللغويون ما التقطوه من الفرائد ، لم يكن للسواد الاعظم منهم المام بالفلسفة اللغوية ، ولا معرفة بسرّ الوضع لتقادم العهد بينهم وبين آبائهم واضعي اللغة. فلم يكن من ثمّ بدٌّ لاصحاب المعاجم في صدر الاسلام ، ومن عقبهم من اللغويين في خلال القرون الاربعة للهجرة ، من ان يسدّوا تلك الخلّة. فاخذوا يشرحون الالفاظ ، ويضعون اسفارًا للترادفات والفروق مستندين في ذلك الى معرفتهم اللغوية الراسخة ، والى ما انتهى اليهم من الشعر الجاهلي والمخضرمي والاسلامي ، والى القرآن والحديث ، حتى قُيّض لهم ان يصلوا باللغة الى الحدّ الذي هي عليه اليوم. ولولا هذا المسعى المبارك لباتت اللغة العربية ضرباً من المعميات والاحاجي ، وادرجت في الاكفان مع اللغات الميتة. فالحمد لله اولًا ، ثم لاولئك الأئمة على ما اذخروه لنا من نفائس الجواهر مما نسطره بمداد الشكر على صفحات الصدر ، وتخلد لهم الفضل الى يوم النشر.

على انهم مهما بذلوه من المجهود في هذه السبيل ، لا يزال كثير من الالفاظ تحت غمامة الغموض ولا يبرح في حاجة الى الشرح والتخريج حتى اصبح كتّاب هذا العصر في قبضة الحيرة لا يعرفون كيف يضعونها في مواضعها. وكأن اولئك اللغويين قد وضعوا معاجمهم لنفوسهم ، حتى ابقوا ذلك النقاب الصفيق على محيّا

اللغة الوسيم وتركوا للاعقاب من بعدهم مركباً خشناً وطريقاً مستوعراً . ولا يخامرنا ادنى مرية في انهم لو شقوا حجاب الغيب وعرفوا ما يطرأ على اللسان من الطوارئ وعلى بنيه من الوهن والقصور ، ثم لو ادركوا ما سوف تنتجه القرائح من العلوم والفنون والاختراعات والاكتشافات ، لذللوا تلك العقبات وكفونا اليوم مؤونة التنقير والتنقيب والتمحيص والتدقيق ، وردّوا عنا السهام التي يرشقنا بها الاغيار من ان لغتنا قد امست بعد تلك الاستنباطات الطريفة ، والمبتدعات الحديثة ، عتيمة قاصرة لا تفي بحاجات المتكلمين بها . وحسبنا بهذا التعبير مهمازاً لشحذ غرار العزائم ، واستثارة الهمم والاندفاع بكل قوانا لسدّ هذا الخلل ، والّا ازداد النشء العربي في هذا العصر نفوراً من اهم الرؤوم وعقوقاً لها .

او ليس من العار على المتضلعين من هذه اللغة الشريفة ، ولاسيما في هذا القطر الغاصّ بالجهابذة المحققين والعلماء المدققين ، ان يسترسلوا الى الدعة مؤثرين الوناء على العناء ، في حين ان اخوانهم ، في اكثر الاصقاع العربية ، قد نهضوا تلك النهضة المباركة ودبّت في صدورهم الحمية فتنافسوا في انشاء المجامع اللغوية والحلقات العلمية ، سدّاً للثلم الواسعة التي فغرها في بناء اللغة ما يشذّ عن الاحصاء من المخترعات في العلوم والفنون على تنوّعها ، ممّا يكاد يؤلف امّة مستقلّة بنفسها ، وممّا لم يكن له ادنى أثر على عهد اجدادنا الألبّاء الذين اورثونا هذا التراث الثمين الذي هو من اقدس الذخائر وانفس الاعلاق .

هذا وما من شيء أندى على كبدنا ، واشجى الى نفسنا ، من ان نرى نخبة علمائنا يتبارون في الباس اللغة بردًا حضرياً قشيباً ليس فيه شيء من خيوط العجمة ، وأن يؤلفوا مشيخات علمية ينخرط في سلكها كبار الائمة الراسخون في المعارف اللسانية والبيانية ، المتبسطون في تاريخ العرب ، وقد حذقوا بعض اللغات الاجنبية الراقية ، واطلعوا على آداب كتابها والمفكرين فيها حتى يتعاونوا ومن ينضم اليهم من الفقهاء والاطباء والفلكيين والرياضيين والمهندسين على إحداث كلمات جديدة لجميع الاستنباطات العصرية والمبتدعات الفكرية ، فيلحقوا لغتهم باللغات الحية ويجلسوها على العرش الجدير ببلاغتها الحريّ بجلالها .

ولقد غرس الله في فؤادنا منذ طراءة سننا اشد الميل الى لغتنا الشريفة حتى

همنا بها هياماً كاد يشغلنا عن عدة لغات اقتبسناها في ايام الدراسة فتفرغنا لتصفح طائفة كبيرة من كتب علمائها البلغاء منذ عصر الجاهلية الى عصرنا هذا. وأتيح لنا ان ندرك شيئاً من اسرار هذه اللغة فرأينا ان ننشره في سفر نجمع فيه الى ما استقيناه من تلك العيون الفيّاضة ، شيئاً من المعلومات التي اهتدينا اليها بالاستقراءات والاستقصاءات من زهاء ربع قرن ، لعلنا نؤدي لابناء الوطن المحبوب خدمةً يحلو لنا الاضطلاع بها.

وقصارى ما نرجوه من مكارم اللغويين السماء ، ان يطيلوا أناتهم لأن البحث جديد مبتكر . وكل جديد مستغرب ولاسيما عند ابناء الشرق الذين يميلون الى التقليد والجمود . فاذا عثروا في ابحاثنا وتخريجاتنا على شيء لا يقرّ رأيهم عليه ، فليدلوا الينا بحججهم ، ونحن لهم من الشاكرين . وهنا لا بدّ لنا من كلمة تمهيدية توقف المطالع على الطريقة التي تمشينا عليها فنقول :

ان العرب العرباء قد وضعوا لغتهم شيئاً فشيئاً ، وكان اول ما تواطأوا على وضعه الكلمات التي كانوا يشعرون بحاجتهم اليها اثناء التحادث ، وهو امر طبيعي . ثم كانوا كلما تقدموا في ميدان المعرفة ، يحدثون الفاظاً جديدة حتى نمت لغتهم ذلك النموّ المدهش.

وكل من يستقرئ الفاظ اللغة منعماً النظر في مدلولاتها ، يرى اكثرها يرجع الى اصلين كبيرين يتفرع عنهما ما لا يقع تحت حصر من الكلمات ، اولهما ما دلّ على معنى الخفاء او على شيء منه ، ويُدرج فيه كل الالفاظ الدالة على الاستتار والانحراف والاسراع وما يقرب من ذلك . واما الثاني فهو ما دل على الظهور ، ويندمج فيه كل ما دلّ على الوضوح والتفرّق والانفصال والاتساع والانتشار وما شاكل ذلك . وقد وضع العرب للمعنى الاول اي معنى الخفاء ، لفظة غاب من غابت الشمس اذا غربت ، وهي ادلّ الالفاظ على الخفاء وفرعوا عنها الوفاً من الالفاظ بطريق القلب والابدال كما يتضح لك ذلك في خلال بحثنا هذا. واما المعنى الثاني وهو الظهور فسنبسط الكلام عليه بعد فراغنا من البحث الاول.

ولا مندوحة لنا قبل الشروع في هذا البحث الخطير ، من ان نوقف القراء

على ان العرب عندما وضعوا موادّ اللغة قدموا في الوضع الاشياء المحسوسة على المعقولة . فاصبحت المحسوسات في كل مادة بمنزلة اصل للمعقولات. وكثيرًا ما تكون المحسوسات في مادة واحدة متفرعة من محسوس آخر هو اصل لها. ثم راعوا العلاقة بين الاصول والفروع في جميع الالفاظ اللغوية كما راعاها البيانيون في المجاز ، فكل كلمة لا ترجع الى اصلها لا يكون للواضع فيها يدٌ . ولكنها دخلت الى متن اللغة من غير ابواب ، او انها وضعت بعد ان احتجب عن البصائر سرّ الوضع ، فخرجت عن القياس عاطلة من ذات الحلي النفيس الذي لولاه لما كان للغة هذه المكانة في الصدور. ونحن انما نعتمد في بحثنا هذا على المقيس لا على الشاذ. واننا نعتبر اللغة قياسية في الاصل وما شذّ من كلماتها عن القياس انما شذوذه إما لكونه من الدخيل ، او لفساد في نقله ، او لوضعه بعد ضياع سر الوضع او لسماعه من اناس لا يوثق بفصاحتهم ونقاء عروبتهم ، او غير ذلك مما لا يدخل في دائرة بحثنا . فاعلم من الآن هذا فتكفي نفسك مؤونة تخطئتنا وتكفينا مؤونة الردّ عليك.

وهذه العلاقة بين الاصول والفروع ، يكفي ان تكون شبه علاقة حتى يرجع كل فرع الى اصله . وسينجلي لك ذلك أبين جلاء في غضون تفريعنا للالفاظ وتخريجنا لها ، وما معوّلنا الا على الله ملهم الرشد والصواب.

السلسلة الاولى

ومن ثمّ يبدأ السلسلة الاولى وفيها يدرس الالفاظ المبدوءة بالغين والمتفرّعة عن «غاب» بعد قلب لامه ، فيبيّن وجه الفناء في جميعها ، ويستدرك الكثير من المتروكات على اصحاب المعاجم من قدماء ومُحدثين. وها نحن ننشر ما يقول في «غاب» ومتفرعاتها.

غاب

ولقد فرّعوا عن فعل غاب ، من قولهم غابت الشمس ، معاني كثيرة تدلّ جميعها على الخفاء أبين دلالة حتى لا تفتقر الى الايضاح فقالوا: غاب الرجل ضد حضر. وغاب عن بلاده اذا سافر او بان عنها. وغاب الشيء في الشيء اذا اختفى فيه. وغاب الشيء عن فلان اذا بعد وتوارى عنه.

ثم قالوا : غاب فلان فلاناً اذا ذكره اثناء غيابه بما فيه من السوء ، فاذا لم يكن فيه قيل: بهته بهتاً وبهتاناً اي قذفه بالباطل وقال عليه ما لم يفعله . او يقال : وقع فيه وقيعة ، اي تناوله بما ليس فيه او ذكر فيه ما ليس حقاً.

مرادفات

أغاب

أغاب القوم: دخلوا في المغيب . واغابت المرأة اذا غاب عنها بعلها او احد من اهلها فهي مُغيب او مُغيبة.وضده المرأة المُشهد وهي التي حضر زوجها

اغتاب

وقالوا اغتاب فلان فلاناً ، اذا عابه اثناء غيابه وذكره بما يكره من العيوب وهو حقّ اي صادق.واسم المصدر منه الغِيبة بكسر الغين ، واما الغَيبة بفتحها فهي مصدر غاب الذي هو في معناه.

غيّب

وقالوا غيّب الرجل الشيء عن فلان ، أبعده وواراه . وغيّبه في الارض وغيرها اخفاه . ومنه قولهم غيّب الميتَ غيابُه اي واراه ، والغياب القبر . وهو مجاز عقلي اسند فيه الفعل الى المكان وهو الغياب . واما في الحقيقة فهو مسند الى من دفنوه في غيابه اي قبره . فيكون الاصل : غيب القوم الميت في غيابه اي دفنوه فيه . وقد وردت هذه العبارة في المعاجم على هذا الشكل : غيب فلاناً غيابُهُ : دُفن في قبره . ولا يخلو هذا التغيير من بعض الالتباس ولاسيما على الناشئين الذين يصعب عليهم ان يفرقوا بين المجاز العقلي والاسناد الحقيقي.

تغيّب

وقالوا : تغيب الرجل عن بلده اذا بان عنه وسافر ، وتغيّب عني فلان اي غاب.وتغيب عني الامر بطن وخفي

غايب

وقالوا: غايب فلان فلاناً ضد خاطبه.ولم يرد هذا الفعل في «لسان العرب» بل ورد مصدره حيث قال: المغايبة خلاف المخاطبة.ولم يزد عليه حتى ترك عقدة مستحكمة.والذي نراه ان «غايب» هذا بمعنى غاب . فاذا قلت لصديقك: علامَ

غايبتي في محنتي يكون المعنى علام غبتَ عني. وقد جاء في «الاساس» ما نصه: « وتقول انا معكم لا اغايبكم » فانه يريد بذلك انه لا يغيب عنهم ولا يفارقهم. وليس لهذه العبارة غير وجه من التأويل.

ومما يزيد المسألة جلاء ان الضمير انما سمي ضمير خطاب لان صاحبه يكون حاضراً عندما يوجه اليه المتكلم الحديث ، او في حكم الحاضر اي كأنه حاضر ، وذلك كأن يخاطب المتكلم شخصاً غائباً عنه ولكنه يتصوره في حضرته امام . واما ضمير الغيبة فانما سُمّي كذلك لان صاحبه يكون في الغالب غائباً عن المتخاطبين وقت المحادثة ، او في حكم الغائب لانه لا يوجه اليه الخطاب. فاذا عرفت هذا يتبين لك المراد من قولهم « المغايبة خلاف المخاطبة ، وغايبه ضد خاطبه. » لان المخاطبة تفيد الحضور والمغايبة تفيد الغياب ، وكلاهما متضادان. وما كان اغنانا عن هذا التخريج لو فسر اصحاب المعاجم غايب بغاب والمغايبة بصدره وهو الغياب. على انه ليس تحت هذا الامر كبير طائل لان غايب نادر الاستعمال ولنا في غاب مرادفه غنى عنه فهو اشيع منه استعمالاً وافصح لغة واسلس لفظاً. ونحن لم نتبسط في هذه المسألة الا لنثبت ما في المعاجم من الغموض ونلفت انظار اعضاء الندوة اللغوية الى جلاء كل ابهام.

الاسماء المتفرعة عنه الغيب ومصدر غاب

الغيب(١)

الغيب : كل ما غاب عنك . ومنه قولهم : يؤمنون بالغيب . وسمعت صوتاً من وراء الغيب اي من موضع لا اراه.

والغيب : السرّ لأنه مكنون في الصدور . ويأتي في معنى الشك ايضاً. ووجهُ الخفاء فيه ان المرء لا يرتاب في شيء ما لم يكن غامضاً عليه غموضاً يولّد في فؤاده الريبة . فاذا كان جلياً فلا مجال للشك.

والغيب من الارض : ما اطمأنّ منها اي سهل وانخفض فغيّلك.

---

(١) اثبتنا هنا الاسم الذي هو اصل المادة ثم الحقنا به الالفاظ المتفرّعة عنه ليسهل رد الفرع الى اصله. وكذا فعلنا عند ذكر فعله. وسنجري على هذا النمط في جميع الالفاظ ، وان خالفنا فيه نسق المعجمات الحديثة.

والغيب من الجُبّ: قعره. والقعر من كل شيء خفيٌّ مستور لا يظهر ما فيه.

الغَيبة

الغيبة: الوهدة من الارض اي المكان المنخفض والهوّة. ووجهُ الخفاء فيها ظاهر.

الغابة

الغابة: الوهدة من الارض. والأجمة ذات الشجر المتكاثف. ووجه الخفاء فيها كونها تغيّب من يكون تحت اشجارها او يتوغل فيها اي يذهب ويبعد.

والغابة: الجمع من الناس. وهذا المعنى متفرّع عن المعنى السابق على سبيل المجاز لان الجمع الكثير يشبه اشجار الغابة من حيث الكثرة والازدحام. امّا وجهُ الخفاء فيه فهو ان الذي يكون في هذا الجمع يضيع بين افراده ويختفي فيهم بحيث لا يُهتدى اليه الّا بشقّ النفس، كما يضيع المتغلغل في الغابة بين ادواحها المتلاصقة وتحت اغصانها المتشابكة المتكاثفة. وايّ شيء ادلّ من هذه الكلمة على معنى الخفاء، بل اية علاقة اقوى من هذه العلاقة بين الفرع والاصل اي بين الجمع من الناس والغابة.

وجمع الغابة الغاب والغابات: غير ان الاول ليس بجمع حقيقي كالثاني، بل هو اسم جنس يُفرق بينه وبين مفرده بالتاء التي يسمونها تاء الوحدة. ويقال له شبه الجمع او اسم الجنس الجمعيّ. فاذا دلّ على حيوان كان بعضه مذكّرًا نحو طار الحمام وبعضه مؤنثًا نحو رعت الغنم. واذا دلّ على غيره اطّرد فيه التذكير فتقول اثمر النخل، وطاب التمر، وغاب كثيف، وروض اريض، وثمر يانع، ونجم وقّاد، وسحاب مكفهرّ.

واصل الغابة غيَبة قُلبت ياؤها الفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها. وجمع فَعَلة على فعل كثير في اللغة ومنه عجلة عجل، ونسمة نسَم، ونعمة نعم، واجمة اجم، واكمة اكم، واسلة اسل، وعلقة علق، وصدفة صدف، ورَحبة رَحب.

وقد جاء من الأجوف على هذه الصيغة من الجمع كثير من الالفاظ مثل ساحة ساح، وحاجة حاج، وساعة ساع، وراحة راح (وهي باطن الكف)، كما جاء من الناقص على الصيغة نفسها كثير من الكلمات قد جمعت هذا الجمع مثل نواة نوى وحصاة حصى ودواة دوى ومهاة مَها، الى غير ذلك ممّا يكاد لا

يُحصر . فعلامَ يقول الصرفيون في باب جمع المؤنث المكسَّر ان كل كلمة على فَعْلة (بفتح الفاء والعين) تجمع غالباً على فعال مثل ساعة سياع ورقبة رقاب . ولم يرد ذكرٌ في كتبهم لفَعْل جمع فَعْلة (بفتح الفاء والعين فيهما) . أفا كان الاجدر بهم ألّا يحصروا جمعها في فِعال او يقولوا على الاقل انها تجمع غالباً على فعال واحياناً على فَعْل . على ان ما ذكرناه من الكلمات على وزن فعلة وجمعُها فَعْل هو جزء مما يحضرنا اقتصرنا عليه تفادياً من الاطالة.

الغَيبان (بفتح الغين)

الغيبان من الشجرة : عروقها التي تغيَّب في الارض . ومن النبات : ما غاب عن الشمس فلم تُصبه . ويصحّ ان تطلق هذه اللفظة على النبات الذي يُربّى او يعيش في الظلّ . وذلك كالنبتة التي يسميها العامّة « حشيشة الغيّ » وان يسمّى المكان الذي يُوارى فيه أي يُغيَّب عن اشعة الشمس « المغيَّب » او « المنبَّت » من نبَّت الزارع النبات اذا ربّاه واعتنى به . ولا نرى بأساً من ان يُدعى الظلّي نسبة الى الظلّ وان تُسمَّى جميع النبتات من هذا النوع « الظليّات ». واسم المكان منه « المُظَلّ »

الغَيَاب

الغَياب من الشجر : عروقه التي تغيب في الارض . والغياب ايضاً القبر وقد مرّ . ووجه الخفاء فيه أبين من ان يُصرّح به لانه يُغيّب الميت متى دفن فيه . ولم يرد في المعاجم جمع له . وكونه في الاصل مصدراً لا ينافي ذلك . فقد جمعوا الرمس على رموس وأرماس والقبر على قبور وكلاهما مصدر في الاصل وكان حقّه ان يجمع على افعلة . وهو الجمع الغالب في كل موصوف مفتوح الفاء ممدود الالف مثل زمان ازمنة . ولعله لم ينتهِ الينا جمعه لتقصير في النقل اولكون العرب استغنوا عن جمعه بمجموع مترادفاته وهي اكثر دوراناً على السنتهم واقلامهم .

وهنا مجال للنظر في جمع رمس على ارماس ، فقد جاء في كتب الصرف ان ما كان على فَعْل لا يجمع على افعال ما لم يكن معتلّ العين مثل ثوب اثواب وسيف اسياف . او معتلّ الفاء مثل وقت اوقات ، او مهموزها مثل ألف آلاف ، او مضاعفاً مثل عمّ اعمام . ولمّا كان الرمس وما جاء على وزنه من

الاسماء قد جُمع على افعال وليس فيه شيء مما ذكر، رأينا ان نستفتي شيخنا العلامة عبدالله البستاني سراج اللغة الوهّاج، فحجّجنا ذات يوم كعبة ادبه في رهط من عشّاق اللسان العربي فاذا به مكبٌّ على تعهُّد «بستانه» الخصيب الفيّاح. فبعد ان حيّيناه بالامامة اللغوية وردّها علينا بما عهد به من طلاقة المحيّا وابتسامة الثغر ورحابة الصدر، دار الحديث في تلك الحلقة الادبية على افعال جمع فعل فقلنا: ما رأيك يا شيخ في انهار وازهار وما شاكلها من الجموع مما جاء مفردها على فَعْل. قال: لا بأس في ذلك ولا نكير. وذلك ان بعض القبائل العربية كانت تحرّك عين فَعْل في بعض الاسماء للتخفيف فتجمعه على افعال وهو جمعه المطّرد. وبعضها كان يبقيها على اصلها فيجمعها اما على فعول مثل دهر دهور او على افعُل مثل نهر أنهُر. واكثر ما كان التحريك يقع فيما كانت عينه من حروف الحلق. غير انه ليس بمطّرد فلم يقولوا مثلاً في بحر بَحَر فيجمعوه على انجار ولا في شهر شَهَر فيجمعوه على اشهار.

قلنا: وما قولك فيما كان على شاكلة ارماس وأشكال وأضراب وأنجال، مما ورد مفرده في اللغة على فَعْل بتسكين العين لا بتحريكها وعينه ليست حلقية. قال: انما راعوا في هذه الاسماء واشباهها المشاكلة بين المترادفات. فقد حملوا الرمس على الجدَث فقالوا ارماس كما قالوا اجداث. وحملوا الشكل على الشَبَه (بفتح الباء) فقالوا الاشكال كما قالوا الاشباه وحملوا الضرب على المَثَل (بفتح الثاء) ومعناه الشبه والمثل فقالوا الاضراب كما قالوا الامثال. وحملوا النجل على الولد فقالوا انجال كما قالوا اولاد. ومثله النسل وهو مرادف للولد فقد قالوا فيه انسال. وحملُ النظير على النظير شائع مستفيض في اللغة. اهـ.

قلنا: او ما كان الاجدر بالصرفيين ان يذللوا هذه العقبة في اصول اللغة فيقولوا في فَعْل انه يجمع غالباً على افعُل مثل نفس انفُس، وعلى فعول مثل قلب قلوب، واحياناً على افعال مثل لحن الحان وفرخ افراخ وزند ازناد، ونادراً على فعال مثل بحر بحار.

وعمرك الله كيف لا يحق لصيغة افعال ان تضم الى جموع فَعْل (بتسكين العين) وفي اللغة ما ينيف على ثلاثمائة لفظة تجمع على هذه الصيغة ومفردها فَعْل

هذا وقد ورد في متن اللغة كثير من الالفاظ في معنى القبر منها ما هو مألوف كالرمس والمدفن والضريح والتربة والحجرة والجدث . ومنها ما هو غير مألوف ولكن لا بأس من استعماله كالحفير والحفرة والغياب والجدن والرَجمة (بفتح الراء) . ومنها ما هو مهجور والاكفان أليق به ، كالجثوة والجدف والوتيرة . وقد جاءت الرُجمة (بضم الراء) للحجارة او للعلامة التي تنصب على القبر . واما الجبّانة فهي المقبرة اي موضع القبور .

على ان بعضهم يعتبر الحفرة من مترادفات القبر وهي ليست كذلك . لان الحفرة في الاصل ما حُفر في الارض وهو عام يشمل القبر وغيره . فاذا سُمي بها القبر كان ذلك من تسمية العام بالخاص وهو مجاز مرسل . والعلاقة بين العام والخاص علاقة شمول اي ان العام يشمل الخاص ويجعله في دائرته .

ومنهم من يظن اللحد مرادفاً للقبر وهو في الحقيقة الشقّ المائل يكون في جانبه اي جانب القبر . واطلاقه على القبر مجاز مرسل ايضاً من باب اطلاق الجزء على الكل . والعلاقة بين الاجزاء ومجموعها أبين من ان تُذكر .

* * *

وعلى هذه الطريقة من الوضوح ودقة الملاحظة يتتبع سائر الالفاظ المبدوّة بالنون مثل : غاث الراوي واليائي ، ومشتقاتها غاد ، وغار الراوي واليائي ، وما يشتق من غاس ، وغاص ، وغاض ، وغاط ، وغاظ ، وغاغ ، وغاف ، وغال الراوي واليائي ، وغام ، وغان ، وغوي ، وغيًّا .

ثم يبدأ السلسلة الثانية واولها غبّ ، فنبث ، وغير الى آخر ما هنالك ، متتبّعاً حروف المعجم في ترتيبه ، ذاكرًا جميع ما ورد في المعاجم من المشتقات ، مستدركاً عليها ما لم يورد وامكن وجوده ، مما يزيد نظريته فائدة في عيون دارسي اللغة .